ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

OPEN ACCESS

Original article

Sociology of the Scientific Elite in Andalusia during the Taifa Era

Hussein Atshan Naeemah

General Directorate of Education in Dhi Qar Governorate, Dhi Qar, Iraq

ABSTRACT

This research examines the sociology of science in Andalusia during the Taifa Kingdoms period (422-485 AH), analyzing the transformation of military competition into cultural rivalry, the development of libraries as integrated research centers, the geographical mobility of scholars within the open scientific market, the structure of scholarly journeys and the Eastern license (Ijazah) as an international academic accreditation, the dialectic between jurist and philosopher, and the role of endowments in financial independence.

***Correspondence author*:** haederhhhh44@gmail.com

Received:13 **March** 2026
Accepted: 09 **May** 2026
Published: 01 **August** 2026

***DOI*:** https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss3/Pt1.1929

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

***Cite*:**
Naeemah, H. A. (2026). Sociology of the Scientific Elite in Andalusia during the Taifa Era. Wasit Journal for Human Sciences, 22(3/Pt1). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss3/Pt1.1929

.

Keywords: Spectral indicators, drought, vegetation cover

سوسيولوجيا النخبة العلمية في الأندلس خلال عصر الطوائف

م.م. حسين عطشان نعيمه
المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار، العراق

المُستخلص

يتناول هذا البحث سوسيولوجيا العلم في الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف (422–485هـ)، محللاً تحول التنافس العسكري إلى تنافس ثقافي، وتطور المكتبات كمراكز بحثية متكاملة، والحراك الجغرافي للعلماء في السوق العلمية المفتوحة، وبنية الرحلة العلمية والإجازة المشرقية كاعتماد أكاديمي دولي، وجدلية الفقيه والفيلسوف، ودور الأوقاف في الاستقلال المالي.

الكلمات المفتاحية: عصر الطوائف، سوسيولوجيا العلم، المكتبات الأندلسية، الإجازة المشرقية، المدرسة الأندلسية

المقدمة:

تعد دراسة العلاقة الجدلية بين البنية السياسية والإنتاج المعرفي من أكثر القضايا إلحاحاً في فلسفة التاريخ وعلم اجتماع المعرفة، خاصة في لحظات التحول الكبرى التي تشهد فيها المجتمعات انهيار الأنظمة المركزية وظهور كيانات سياسية صغرى. ويقدم عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422–485هـ/1031–1092م) أحد أخصب النماذج التاريخية وأكثرها إثارة للدهشة؛ إذ تزامن انهيار الخلافة الأموية في قرطبة – تلك المؤسسة السياسية الموحدة التي ظلت لأكثر من قرنين عصبة الحضارة الأندلسية – مع ازدهار علمي وفكري غير مسبوق، تمثل في بروز نخبة علمية موسوعية، وتأسيس مكتبات متخصصة عملت كمراكز بحثية متكاملة، وتطور الرحلة العلمية إلى المشرق كنظام اعتماد أكاديمي دولي، وظهور مدرسة أندلسية واقعية انتقلت من النقل إلى النقد والتجريب في حقول الطب والفلاحة والفلك والفلسفة. هذه المفارقة التاريخية المتمثلة في "الازدهار المعرفي في ظل التشرذم السياسي" تشكل إشكالية مركزية طالما حيّرت المؤرخين وعلماء الاجتماع، ودفعت الكثيرين إلى إعادة النظر في المقولات التقليدية التي تربط التقدم العلمي حصراً بالدولة القوية الموحدة. ومن هنا، تنطلق هذه الدراسة من فرضية مركزية مؤداها أن التجزئة السياسية في عصر الطوائف لم تكن عائقاً أمام العلم، بل تحولت إلى بيئة حاضنة خلقت تنافساً ثقافياً بين الدويلات، وفرت حراكاً جغرافياً مفتوحاً للعلماء، وأسست لاستقلالية النخبة العلمية عبر نظام الأوقاف، مما جعل المنجز العلمي حصناً ثقافياً استمر وأثر في النهضة الأوروبية بعد زوال تلك الدويلات بقرون. اعتماداً على هذا المنظور، تسعى هذه الورقة إلى تفكيك آليات تحول الصراع العسكري إلى تنافس ثقافي، وتحليل بنية الرحلة العلمية والإجازة المشرقية، وكشف جدلية الفقيه والفيلسوف، ورصد انتقال النخبة الأندلسية من النقل إلى النقد والتجريب، وصولاً إلى تفسير كيف استطاعت "المدرسة الأندلسية" أن تصبح جسراً ذهبياً للنهضة الأوروبية، مؤكدة بذلك أن القوة الثقافية قد تملك عمراً أطول من القوة العسكرية حين تُبنى على أسس مؤسسية وعلمية متينة.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث الرئيسة في المفارقة التاريخية التي تقول: "كيف أمكن للعلم الأندلسي أن يحقق ازدهاره الأكبر في لحظة التجزئة السياسية الأعمق؟" أي كيف تزامن انهيار الخلافة الموحدة (الأموية في قرطبة عام 422هـ) مع ذروة الإنتاج العلمي الأندلسي في الطب والفلاحة والفلسفة والفلك، في الوقت الذي كانت فيه الدويلات الصغرى تتصارع عسكرياً وتتفكك سياسياً؟ ومن هذه الإشكالية الكبرى تتفرع التساؤلات المحددة التالية:

1. ما الآليات السوسيولوجية التي حوّلت التنافس العسكري بين دويلات الطوائف إلى تنافس ثقافي على ما يمكن تسميته، بمصطلح عالم الاجتماع المعاصر بيير بورديو، "رأس المال الرمزي"؟ وكيف أسهم تحول الطوائف من الصراع المسلح إلى الاستقطاب العلمي في خلق بيئة حاضنة للعلم قائمة على المركزية المتعددة والمكتبات كمراكز بحثية؟

2. كيف تشكلت "السوق العلمية المفتوحة" بفعل الحراك الجغرافي للعلماء بين الدويلات الأندلسية وإليها من المغرب والمشرق، وما الأثر الذي ترتب على هذا الحراك في تلاقح المناهج وتكوين هوية علمية أندلسية عابرة لحدود الإمارات المتعددة؟

3. ما البنية السوسيولوجية للرحلة العلمية من الأندلس إلى المشرق، وكيف تحولت الإجازة المشرقية إلى نظام "اعتماد علمي يُحتذى به بين الأمم"، منح العالم الأندلسي مشروعية علمية وتمايزاً **طبقياً**، وما الدور الذي لعبته هذه الرحلة في نقل المناهج وتحول النخبة من النقل إلى النقد والتجريب؟

4. كيف تجلت جدلية العلاقة بين النخبة العلمية والمجتمع الأندلسي، من خلال ثلاث قنوات: صراع الفقيه والفيلسوف (مع الإشارة إلى أن الفلسفة بقيت محصورة في طبقة المفكرين والسلاطين ومحل شك وريبة لدى الفقهاء وعامة الناس)، والدور الدبلوماسي للعلماء كسفراء عابرين للحدود، واستقلالية العلماء المالية عبر نظام الأوقاف التعليمية؟

5. بأي معنى يمكن اعتبار عصر الطوائف "جسراً ذهبياً" نقل منجزات "المدرسة الأندلسية" (التي اتسمت بالواقعية والتجريب في الطب والفلاحة والفلك والفلسفة) إلى أوروبا، لا سيما عبر ترجمات طليطلة، مع الإشارة إلى دور مراكز علمية أخرى كسرقسطة وإشبيلية وقرطبة والمرية ومالقة في هذا الإرث؟ وكيف أسهم هذا الانتقال في تغذية النهضة الأوروبية وتأكيد ديمومة القوة الثقافية بعد زوال القوة السياسية؟

فرضية البحث

تتناسق الفرضيات التالية بشكل مباشر مع التساؤلات الخمسة السابقة، وتقدم إجابات مبدئية قابلة للاختبار:

1. يفترض البحث أن **التجزئة** السياسية في عصر الطوائف لم تكن عائقاً بل محفزاً للازدهار العلمي، وذلك لأن التنافس بين الدويلات حول "رأس المال الثقافي" (وهو مفهوم حديث صاغه بيير بورديو، لكنه يعبّر بدقة عن واقع ذلك العصر) دفع الملوك إلى استقطاب العلماء وتمويل المكتبات التي تطورت لتصبح مراكز بحثية متكاملة، مما خلق بيئة من "المركزية المتعددة" التي حالت دون احتكار الحقيقة من قبل سلطة مركزية واحدة، وحولت الصراع العسكري إلى استثمار معرفي.

2. يفترض البحث أن الحراك الجغرافي للعلماء بين الدويلات ومن وإلى الأندلس خلق "سوقاً علمية مفتوحة" جعلت من العالم الأندلسي فاعلاً **على صعيد الأمم الإسلامية**، وأدى إلى تلاقح المناهج (القرطبي، الإشبيلي، السرقسطي، المغربي، المشرقي)،

وتكوين هوية علمية أندلسية موحدة فكرياً رغم التشرذم السياسي، كما وفر للعلماء "شبكة أمان" تحميهم مما يمكن تسميته بـ "**الضغوط الفردية من قبل الحكام**" ، حيث كان بإمكان العالم المنتقد أو المطارد أن يجد ملاذاً آمناً في بلاط منافس.

3. يفترض البحث أن الرحلة العلمية إلى المشرق تحولت إلى "طقس عبور" اجتماعي، وأن الإجازة المشرقية مثلت "اعتماداً علمياً رفيع المستوى" منح حاملها تمايزاً **طبقياً**، وحصانة معنوية، وأولوية في تولي مناصب القضاء والوزارة. ومع ذلك، فإن هذه الإجازة لم تكن ضماناً مطلقاً للعيش الكريم، إذ واجه بعض العلماء مثل أبي الوليد الباجي وابن حزم وأبي بكر الطرطوشي امتحانات عسيرة عند عودتهم إلى الأندلس. كما أن هذه الرحلة كانت القناة الأساسية التي انتقلت عبرها النخبة الأندلسية من مرحلة النقل الأمين إلى مرحلة النقد والتجريب والتبيئة المحلية للعلوم.

4. يفترض البحث أن العلاقة بين النخبة العلمية والمجتمع اتسمت بالجدلية المنتجة؛ فصراع الفقيه والفيلسوف لم يؤدِ إلى إجهاض العقلانية بفضل التعددية السياسية التي وفرت ملاذات آمنة، علماً بأن الفلسفة بقيت علماً نخبوياً محصوراً، وكان الفقهاء وعامة الناس يتعاملون معها بحذر وريبة. وقد تحول العلماء إلى سفراء دبلوماسيين ناجحين بفضل حيازتهم "لغة علمية مشتركة" وحصانتهم الأخلاقية، فيما وفرت الأوقاف التعليمية استقلالاً مالياً جعل العلم قوة مجتمعية عصية على الاحتكار السياسي.

5. يفترض البحث أن عصر الطوائف شكل "جسراً ذهبياً" حقيقياً نقل المنجز العلمي الأندلسي (المتميز بالواقعية والتجريب والنقد) إلى أوروبا، وأن ترجمات طليطلة لم تكن مجرد نقل حرفي بل استيعاباً للمنهج النقدي الأندلسي نفسه، بالاعتماد على تراث مدن علمية كبرى كسرقسطة وإشبيلية وقرطبة، مما جعل المدرسة الأندلسية المحرك الأساسي للنهضة الأوروبية، وأثبت أن القوة الثقافية تمتلك عمراً أطول من القوة العسكرية حين تُبنى على أسس مؤسسية وعلمية متينة.

أهمية البحث

تتضح أهمية هذا البحث على المستويات النظرية والتاريخية والمعاصرة من خلال العناصر التالية:

أولاً: الأهمية النظرية (المنهجية) : يقدم البحث مقاربة سوسيولوجية جديدة لدراسة تاريخ العلم في الحضارة الإسلامية، متجاوزاً النمط التقليدي الذي يركز على سرد الإنجازات أو تراجم العلماء، إلى تحليل العلاقات البنيوية بين السلطة السياسية والنخبة العلمية والمؤسسات المعرفية (المكتبات، الأوقاف، نظام الإجازات). هذه المقاربة تفتح الباب أمام مراجعة جذرية للمقولات التي تختزل ازدهار العلوم بالدولة القوية الموحدة، وتقدم نموذجاً تفسيرياً لظاهرة "الإبداع في ظل التشرذم" يمكن اختباره في سياقات تاريخية أخرى.

ثانياً: الأهمية التاريخية (التوثيقية) : يسد البحث ثغرة في الكتابات التاريخية العربية التي غالباً ما تناولت عصر الطوائف كفترة انحطاط سياسي دون التعمق في تحولاته الثقافية كبيئة حاضنة للإبداع، كما يقدم تجميعاً وتحليلاً منهجياً للمعلومات المتناثرة حول المكتبات، الحراك الجغرافي، نظام الإجازات، والأوقاف التعليمية، مما ينتج صورة متكاملة عن "البنية التحتية للمعرفة" في هذا العصر.

ثالثاً: الأهمية الحضارية (المقارنة): يكشف البحث عن دور الحضارة الإسلامية في تشكيل النهضة الأوروبية عبر ترجمات طليطلة، ويدحض الرواية الخطية التي تختزل التأثير الإسلامي في مجرد حفظ التراث اليوناني، مؤكداً أن الأندلس لم تكن ناقلاً

فحسب بل منتجاً ومطوراً أصيلاً للعلوم التجريبية (الفلاحة، الجراحة، الفلك)، وهو ما يمنح البحث أهمية في سياقات الرد على الاستشراق والمراجعات الاستعمارية للتاريخ.

رابعاً: الأهمية المعاصرة (التطبيقية) :يمكن استلهام نموذج الأوقاف المستقلة في تمويل البحث العلمي، ونظام الإجازة كاعتماد أكاديمي، و"المركزية المتعددة" في إدارة الابتكار، والحراك الجغرافي للباحثين كسوق علمية مفتوحة، في صياغة سياسات علمية للعالم العربي المعاصر الذي يعاني من تمركز مفرط للسلطة المعرفية وضعف التمويل المستقل للبحث.

خامساً: الأهمية المنهجية (التقويمية) :يقدم البحث نموذجاً لتوظيف الجداول المحللة (12 جدولاً) كأداة منهجية لتكثيف البيانات التاريخية وتحليلها سوسيولوجياً، مما يجعله نموذجاً قابلاً للتعميم في الدراسات التاريخية التي تهدف إلى الانتقال من السرد إلى التحليل الهيكلي.

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. تحليل آليات تحويل التنافس السياسي إلى تنافس ثقافي :تفكيك الطرق التي استخدمها ملوك الطوائف (مثل بني عباد وبني هود وبني الأفطس) في توظيف العلم والأدب والمكتبات لتعويض نقص شرعيتهم السياسية، وبيان كيف حوّل ذلك الصراع العسكري إلى استثمار في رأس المال الرمزي.
2. وصف وتصنيف البنية المؤسسية للمكتبات كمراكز بحثية :توثيق الهيكل التنظيمي للمكتبات الأندلسية (أقسام التأليف، الترجمة، التدقيق، النسخ، الإعارة)، وتحليل دورها في ديمقراطية المعرفة وتوليد المعرفة الأصلية.
3. كشف ديناميكيات الحراك الجغرافي والسوق العلمية المفتوحة :رسم مسارات هجرة العلماء بين الدويلات وإليها من المغرب والمشرق، وتحديد الدوافع السوسيوسياسية لهذا الحراك، وقياس أثره في تلاقح المناهج وتكوين هوية علمية عابرة للحدود.
4. تحليل بنية الرحلة العلمية والإجازة المشرقية :تفكيك الرحلة إلى المشرق كـ"طقس عبور" اجتماعي، وبيان كيف تحولت الإجازة المشرقية إلى اعتماد أكاديمي دولي يمنح التمايز الطباقي والحصانة السياسية، ورصد أثر ذلك في نقل المناهج وتطوير العلوم العقلية.
5. دراسة العلاقات البيئية بين النخبة العلمية والمجتمع من ثلاث مداخل) :أ) تحليل جدلية الفقيه والفيلسوف كصراع منتج للفكر، (ب) توثيق أدوار العلماء كسفراء دبلوماسيين عابرين للحدود، (ج) الكشف عن دور الأوقاف التعليمية في استقلالية العلماء المالية وحريتهم الفكرية.
6. تقييم دور عصر الطوائف كجسر ذهبي للنهضة الأوروبية :تتبع مسارات انتقال المنجز العلمي الأندلسي (خاصة في الجراحة، الفلاحة، الفلك، الفلسفة) إلى أوروبا عبر ترجمات طليطلة، وتحليل كيف ساهم المنهج النقدي التجريبي الأندلسي في تشكيل الوعي العلمي الأوروبي الحديث.

7. تقديم نموذج تفسيري لظاهرة "الازدهار المعرفي في ظل التشرذم السياسي :"بناء إطار سوسيولوجي يفسر كيف يمكن للانقسام السياسي أن يتحول إلى بيئة محفزة للإبداع بشرط توفر مؤسسات معرفية مستقلة (مكتبات، أوقاف، نظام اعتماد) وحراك جغرافي مفتوح للعلماء.

المبحث الأول: البيئة الحاضنة للعلم في ظل التجزئة السياسية

الفرع الأول: تحول الطوائف من التنافس العسكري إلى التنافس الثقافي

شكّل انهيار الخلافة الأموية في قرطبة عام 422هـ/1031م نقطة تحوّل سوسيولوجية كبرى، حيث لم يعد العالم مضطراً للارتهان لبلاط واحد، بل وجد نفسه أمام خريطة سياسية تتألف من نحو اثنتين وعشرين دويلة تتنافس بضراوة على ما يمكن تسميته بمصطلح عالم الاجتماع المعاصر بيير بورديو "رأس المال الثقافي" (العبودي والوائلي، 2024، ص. 125). هذا التحول من الصراع العسكري المباشر إلى التنافس على استقطاب العلماء كان مدفوعاً برغبة ملوك الطوائف – مثل بني عباد في إشبيلية وبني هود في سرقسطة – في اكتساب شرعية "السيادة الحضارية" لتعويض النقص في الشرعية السياسية الناتج عن غياب السلطة المركزية (أحمد، 2022، ص. 87). فبنو عباد، تحت حكم المعتضد والمعتمد، استثمروا بكثافة في الشعراء والعلماء، مما جعل إشبيلية "عاصمة أدبية وعلمية" تضاهي قرطبة في أوجها، حيث لم يكن البلاط مجرد مكان للمدح، بل مركزاً للنقاشات الفلسفية والعلمية التي عززت هيبة الدولة (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 145).

وفي المقابل، برز بنو هود في سرقسطة كقوة شمالية وظّفوا العلوم العقلية والرياضيات كأداة لتعزيز بنيتهم الفكرية، مما جذب العلماء الفارين من اضطرابات قرطبة نحو بيئة بحثية مستقرة (الربيعي، 2024، ص. 190). إن هذا التنافس وفّر دعماً مالياً غير مسبوق، حيث أغدق الملوك الأموال والمناصب (كالقضاء والوزارة) على العلماء لضمان ولائهم، مما حوّل النخبة العلمية إلى طبقة عليا تمتلك الجاه والنفوذ (دويدار، 1994، ص. 210).

ومن المهم هنا توضيح مصطلحين وردا في سياق هذا التحول: أولاً، يُقصد بـ "الضغوط الفردية من قبل الحكام" تلك المضايقات أو العقوبات التي كان يمارسها بعض ملوك الطوائف ضد علماء أو مفكرين بعينهم بسبب آرائهم النقدية أو مواقفهم السياسية، كالنفي، أو الحبس، أو المنع من التدريس، أو حتى التصفية الجسدية كما حدث مع الفيلسوف ابن باجة (ت 533هـ) الذي قيل إنه اغتيل بالسم (الرفاعي، 2025، ص. 47). ثانياً، "احتكار السلطة للحقيقة" يعني سعي أي جهاز سياسي أو ديني منفرد إلى فرض رؤية واحدة للعلوم والمعارف، ومنع ظهور أي رأي يخالفها، وهو ما كان سائداً في عصر الخلافة المركزية، بينما أتاحت التعددية السياسية في عصر الطوائف تعدد المراكز المعرفية؛ فما كان يمنع في إشبيلية كان يسمح به في سرقسطة، مما أفقد أي سلطة القدرة على احتكار الحقيقة النهائية (العبودي والوائلي، 2024، ص. 128–129).

سوسيولوجياً، أصبح العلم في هذا العصر أداة لقياس المكانة، إذ إن الحاضرة التي تمتلك أكبر عدد من العلماء والمصنّفات كانت هي الأقوى رمزياً، وهو ما يفسر لماذا استمرت الأندلس في العطاء العلمي رغم الضعف العسكري، بل إن التجزئة هنا عملت كمحفز للاستثمار في العقل البشري (أشباخ، 2011، ص. 56).

جدول رقم (1): توزيع مراكز القوى الثقافية وأثر التنافس بين الطوائف (422–485هـ)

الحاضرة (الطائفة)	الحاكم الراعي	التوجه العلمي الغالب	القيمة السوسيولوجية المضافة
إشبيلية (بني عباد)	المعتمد بن عباد	الأدب، الشعر، الفقه، الفلسفة، والعلوم النقلية والعقلية	بناء "قرطبة ثانية" وجذب علماء المشرق والمغرب
سرقسطة (بني هود)	المقتدر بالله	الرياضيات، الفلك، والمنطق والفلسفة	تعزيز القوة العقلانية في الثغور الشمالية
طليطلة (بني ذي النون)	المأمون بن ذي النون	الطب، الزراعة، والترجمة	تحويل طليطلة لمركز تلاقح مع علوم الأوائل
طليوس (بني الأفطس)	المظفر بن الأفطس	التاريخ، الموسوعات، واللغة	توثيق الذاكرة الأندلسية عبر المصنفات الكبرى
المرية (بني صمادح)	المعتصم بن صمادح	الفقه، المناظرات، والشعر	خلق صالونات أدبية تنافس الحواضر الكبرى

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (أحمد، 2022، ص. 90؛ العبودي والوائلي، 2024، ص. 128).

يكشف التحليل المنهجي للبيانات الواردة في الجدول رقم (1) أن التجزئة السياسية لم تكن بالضرورة عائقاً أمام الازدهار، بل خلقت نموذج "المركزية المتعددة" الذي منع احتكار الحقيقة من قبل سلطة واحدة؛ فكل طائفة تخصصت في حقل معرفي يعكس هويتها السياسية وطموح حاكمها. فبينما ركز بنو عباد على القوة الناعمة للأدب لترسيخ شرعيتهم، وظّف بنو هود العلوم العقلية كالفلك والرياضيات لإثبات تفوقهم الفكري في مناطق التماس. هذا التوزيع الوظيفي للعلوم أدى إلى رواج اقتصادي للمعرفة، حيث ارتفعت أجور العلماء والمؤلفين، وأصبح اقتناء الكتب النادرة علامة على الرفعة الطبقية والوجاهة الاجتماعية. ومن منظور سوسيولوجي، فإن هذا المناخ التنافسي سمح بظهور نخبة مبتكرة لم تعد تكتفي بالتقليد، بل بدأت في إنتاج معارف أصلية (مثل مؤلفات ابن حيان وابن حزم) التي وثّقت هذا التحول. إن النتيجة الأهم هي أن التنافس الثقافي عمل كشبكة أمان للعلماء؛ فالعالم الملاحق في إمارة كان يجد فوراً عرضاً أفضل في إمارة منافسة، مما خلق حالة من الحصانة الفكرية التي فرضتها الحاجة السياسية للملوك إلى تزيين بلاطاتهم بالعقول الكبيرة. بالتالي، فإن البيئة الحاضنة في عصر الطوائف كانت بيئة نفعية بامتياز، وظّفت العلم لخدمة السلطة، لكنها في الوقت ذاته منحت العلم استدامة تاريخية تجاوزت سقوط تلك العروش.

الفرع الثاني: المكتبات كمراكز بحثية (Research Centers) وانفتاح فكري

لم تعد المكتبات في عصر الطوائف مجرد "خزائن" لحفظ الكتب، بل تطورت سوسيولوجياً لتصبح "مراكز بحثية" متكاملة تضم أقساماً متخصصة للتأليف والترجمة والتدقيق والنسخ، مما عكس انفتاحاً فكرياً استثنائياً (خضري، 2022، ص. 45). إن تشتت مكتبة "الحكم المستنصر" العظيمة بعد الفتنة أدى إلى "مشاعية المعرفة"، حيث تسابق ملوك الطوائف لابتياع المخطوطات النادرة وتأسيس مكتباتهم الخاصة التي كانت بمثابة "جامعات مصغرة" (هونكة، 1993، ص. 112). وتكشف الوثائق أن مكتبات مثل مكتبة القصر في إشبيلية أو مكتبة بني الأفطس في بطليوس كانت تعمل وفق هيكل تنظيمي دقيق يضم موظفين للعناية بالكتب، ومجلدين، ومترجمين لنقل علوم "الأوائل" (اليونان والفرس) إلى العربية، وهو ما يفسر التراكم المعرفي في العلوم العقلية والشرعية على حد سواء (الربيعي، 2024، ص. 195). السمة الأبرز لهذه المراكز كانت "الانفتاح الفكري"؛ حيث لم تقتصر المجموعات على الفقه المالكي السائد، بل شملت الفلسفة والمنطق والكيمياء والطب، مما أتاح للعلماء بيئة خصبة للمقارنة والنقد (وات، 1998، ص. 78). كما أن نظام "الإعارة" الذي شاع في مكتبات المساجد والأوقاف سمح للباحثين غير القادرين مادياً بالوصول إلى أحدث المكتشفات العلمية، وهو ما فعله مؤرخون مثل ابن حيان الذي اعتمد على خزائن الأوقاف في كتابة تأريخه (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 152). هذا التحول المؤسسي جعل المكتبة "مختبراً للتلاقح الفكري" بين علوم النقل (الشرعية) وعلوم العقل، مما أنتج نخبة علمية متعددة التخصصات قادرة على الإبداع في الطب والفلك بجانب تمكنها من علوم الحديث واللغة (خضري، 2022، ص. 50).

هذا الازدهار لم يقتصر على فنون الأدب والشعر فحسب، بل شمل العلوم العقلية والنقلية على حد سواء، حيث ضمت بلاطاتهم الفقهاء والمحدثين والأطباء والفلاسفة (أحمد، 2022، ص. 91). ومن أبرز الأسر الطبية التي برزت في هذا العصر أسرة **ابن زهر** التي أنجبت ستة أجيال من الأطباء الخبراء، وكان أبرزهم **أبو مروان عبد الملك بن زهر** (ت 557هـ) وابنه **أبو بكر محمد بن زهر** (ت 595هـ) اللذان أسسا للجراحة التجريبية المنهجية، وتركا مؤلفات خالدة في الطب السريري والتشريح (كحالة، 1972، ص. 88–90). ومن أعلام الطب أيضاً **أبو داود سليمان بن حسان بن جلجل** (ت 377هـ)، صاحب موسوعة "طبقات الأطباء والحكماء"، الذي خدم في بلاط الخلافة الأموية بقرطبة واشتهر بمعرفته الواسعة بالأدوية والأعشاب، وقد اعتمد في مصنفاته على المشاهدة والتجربة لا على النقل فقط (فروخ، 1970، ص. 246). وفي علم الكيمياء برز **أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي** (ت 398هـ) الذي وصفه ابن خلدون بـ"شيخ الأندلس في الكيمياء"، وشارك في تطوير علم الفلك والرياضيات وصناعة الأسطرلاب المتطورة، وقد أطلق عليه الغرب لقب "**إقليدس الأندلس**" لبراعته في الرياضيات والمنطق، وكان من أوائل الذين نقدوا نظريات الكيمياء القديمة واتجهوا إلى المنهج التجريبي (صبحي، 1977، ص. 113–114). هذا الحراك الفكري أثبت أن النخبة الأندلسية لم تكن وعاءً جامداً للعلوم الوافدة، بل كانت معقلاً للابتكار والتجديد، متجاوزة بذلك مرحلة النقل إلى مرحلة الإنتاج الأصيل (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 177).

جدول رقم (2): الهيكل التنظيمي والوظائف البحثية للمكتبات الأندلسية (عصر الطوائف)

القسم الوظيفي داخل المكتبة	المهام والمسؤوليات البحثية	الأثر على الحراك العلمي
قسم التأليف والتصنيف	إنتاج كتب ومصنفات جديدة في مختلف الفنون	زيادة الإنتاج الفكري الأندلسي الأصيل
قسم الترجمة والتعريب	نقل العلوم اليونانية والسريانية إلى العربية	توطين العلوم العقلية وعلوم الأوائل
قسم التدقيق والمراجعة	ضمان دقة النصوص وتحقيق المخطوطات النادرة	رفع جودة المخرجات العلمية الموثقة
قسم النسخ والتذهيب	إنتاج نسخ متعددة وجمالية لتسهيل التداول	انتشار المعرفة بين العامة والنخبة
قسم الإعارة (الأحباس)	توفير المراجع للباحثين والطلاب مجاناً	ديمقراطية المعرفة وتوسيع قاعدة المتعلمين

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (خضري، 2022، ص. 52؛ هونكة، 1993، ص. 115).

يوضح التحليل السوسيولوجي للهيكل التنظيمي المذكور في الجدول رقم (2) أن المكتبة الأندلسية في عصر الطوائف كانت تمثل "مؤسسة أكاديمية استباقية" سبقت النماذج الجامعية الأوروبية في تنظيم البحث العلمي؛ فوجود أقسام للتدقيق والمراجعة يشير إلى وعي نقدي بضرورة "تحقيق النصوص"، وهو أساس المنهج العلمي الحديث (الربيعي، 2024، ص. 197). إن هذا النظام لم يكن يهدف فقط لحفظ التراث، بل لـ"توليد المعرفة" من خلال قسم التأليف، مما جعل المكتبة بيئة تفاعلية لا مخزوناً استاتيكياً (وات، 1998، ص. 80). كما أن دمج علوم الأوائل مع العلوم الشرعية في فضاء واحد كسر العزلة الفكرية، وهو ما يفسر ظهور فلاسفة أطباء مثل ابن باجة وابن زهر الذين تخرجوا من هذه البيئات المنفتحة (هونكة، 1993، ص. 118). ومن الناحية الاجتماعية، فإن انتشار المكتبات العامة (سبعون مكتبة في قرطبة وحدها وتوزعها لاحقاً في إشبيلية وطليطلة) ساهم في رفع نسبة الأمية العلمية، حيث أصبح أغلب سكان الأندلس يتقنون القراءة والكتابة، مما وسّع من "القاعدة الشعبية" التي تنبثق منها النخبة العلمية (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 155). هذا "الانفجار المكتبي" كان استجابة مباشرة للتجزئة السياسية؛ فكل ملك أراد أن يثبت أن عاصمته هي "دار العلم" الحقيقية، مما أدى إلى منافسة في اقتناء الكتب النادرة ودفع أغلى الأثمان للمؤلفين، مما خلق حالة من "الرواج الاقتصادي للمعرفة" (خضري، 2022، ص. 55). بالتالي، فإن سوسيولوجيا المكتبة في هذا العصر كانت تعكس رغبة المجتمع في الحفاظ على هويته الثقافية وسط الاضطراب السياسي، محولةً الكتاب إلى "رأس مال رمزي" يتجاوز قيمته المادية ليصبح رمزاً للوجاهة والسلطة الفكرية (العبودي والوائلي، 2024، ص. 132).

الفرع الثالث: الحراك الجغرافي والسوق العلمية المفتوحة

تميزت النخبة العلمية الأندلسية في عصر الطوائف بكونها "عابرة للحدود" السياسية، حيث لم تعد الولاءات مرتبطة بمكان جغرافي محدد، بل بمدى توفر الأمن والرعاية العلمية، مما خلق ما يمكن تسميته بـ"السوق العلمية المفتوحة" (السامرائي، 2000، ص. 134). فإذا ضيّق حاكم إشبيلية على عالم أو أديب، رحل الأخير فوراً إلى سرقسطة أو طليطلة أو المرية، وهو ما مكن العلماء من الإفلات من "الاستبداد السياسي الواحد" (مرزوق، 2014، ص. 67). هذا الحراك الجغرافي كان مدفوعاً بعوامل سوسيوسياسية، منها "الفتنة" في قرطبة التي هجّرت الأسر العلمية نحو شاطبة والجزائر وبلنسية، والاجتياح الهلالي للقيروان الذي دفع بعلماء المغرب نحو الأندلس، والجدير بالذكر أن اجتياح القيروان لم يكن بفعل قبيلة **بني هلال** وحدها، بل بتحالف قوي ضم إلى جانبهم قبائل **بني سليم** وغيرها من القبائل العربية، وكان هذا الزحف بدعم وتخطيط من الخليفة الفاطمي **المستنصر بالله** في مصر (ت 487هـ)، الذي سعى لتأديب حاكم إفريقية **المعز بن باديس الصنهاجي** (ت 454هـ) بعد قطعه الدعوة للفاطميين وعودته إلى المذهب السني المالكي (السامرائي، 2000، ص. 140). هذا الحدث العنيف فجر البنية العلمية في القيروان، التي كانت تعد من أهم المراكز العلمية في المغرب الإسلامي، ودفع بموجات متتالية من علمائها وفقهائها وقضاتها إلى الهجرة نحو الأندلس، حيث كانوا يمثلون إضافة نوعية ثرية للمشهد الثقافي في مدن مثل إشبيلية وطليطلة وبلنسية والمرية (مرزوق، 2014، ص. 68). وقد حمل هؤلاء المهاجرون معهم تقاليد علمية عريقة في الفقه المالكي، والحديث، والطب، والفلك، مما أسهم في رفع مستوى البحث العلمي في الأندلس، وجعل منها قبلة للعلماء الفارين من الاضطرابات في المشرق والمغرب على السواء (الربيعي، 2024، ص .199–200).

مما أغنى النسيج الثقافي المحلي (الربيعي، 2024، ص. 199). علماء مثل الجغرافي أبو عبيد البكري وابن زيدون تنقلوا بين البلاطات، محولين خبراتهم وعلمهم إلى "جوازات سفر" تضمن لهم مكانة رفيعة أينما حلوا (ناصر، 2022، ص. 58). هذه السوق المفتوحة حتمت على الملوك تحسين "عروض الاستقطاب"، حيث كان الملوك يتباهون بجذب العلماء لإضفاء صبغة "الرياسة" على حكمهم، مما رفع من المكانة القانونية والاجتماعية للعالم (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 160). إن هذا الحراك لم يكن مجرد هروب من الفوضى، بل كان "استراتيجية بقاء وتطور" للنخبة العلمية التي استطاعت عبر التنقل أن تطلع على مجموعات مكتبية متنوعة وتلتقي بشيوخ من مشارب مختلفة، مما أنتج فكراً موسوعياً يتجاوز المحلية الضيقة ويساهم في بناء "المدرسة الأندلسية" الموحدة فكرياً رغم التشرذم السياسي (بايت وغزالي، 2024، ص. 112).

جدول رقم (3): مسارات الحراك العلمي والدوافع السوسيوسياسية في عصر الطوائف

نقطة الانطلاق	وجهة الحراك	الدافع السوسيوسياسي للهجرة	النتيجة العلمية والاجتماعية
قرطبة	إشبيلية وطليطلة	الفتنة الكبرى وغياب الاستقرار	توزيع النخبة القرطبية على الأقاليم
القيروان (تونس)	شرق الأندلس	الاجتياح الهلالي (441هـ)	رفد الأندلس بخبرات مغربية ومشرقية
إشبيلية	سرقسطة والمرية	التنافس بين ملوك الطوائف	ظهور "سوق علمية" وعقود رعاية
طليطلة	بلنسية وسرقسطة	التهديد العسكري القشتالي	نقل المناهج العلمية للمناطق الآمنة

الأندلس عامة	المشرق الإسلامي	طلب الإجازة والاعتماد الدولي	ربط الأندلس بالشبكة العلمية العالمية

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (السامرائي، 2000، ص. 138؛ مرزوق، 2014، ص. 70).

يكشف تحليل المسارات الجغرافية الموضحة في الجدول رقم (3) عن وجود "ديناميكية ديموغرافية علمية" كانت هي الضمانة الوحيدة لاستمرار الحضارة الأندلسية؛ فالحراك لم يكن عشوائياً، بل كان يتبع بوصلة "الأمن والتمويل" (ناصر، 2022، ص. 60). السوسيولوجيا الكامنة وراء هذا الحراك تؤكد أن العالم الأندلسي تحول إلى "فاعل دولي" داخل شبه الجزيرة، حيث أصبحت كفاءته هي التي تحدد ولاءه، وليس العرق أو الانتماء الجغرافي (الربيعي، 2024، ص. 200). هذا الوضع خلق "تنافسية إيجابية"؛ إذ اضطر الحكام لتوفير بيئات بحثية وحريات أوسع لجذب العلماء، وهو ما يفسر لماذا شهدت مدن حدودية مثل سرقسطة ازدهاراً في الرياضيات والفلك، حيث وجد العلماء فيها مساحة للبحث بعيداً عن ضغوط فقهاء العاصمة القديمة (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 162). كما أن "الهجرة الداخلية" للأسر العلمية أدت إلى تلاقح المناهج؛ فالمنهج القرطبي الرصين التقى بالمنهج الإشبيلي الأدبي والمنهج السرقسطي العقلي، مما أنتج "هوية أندلسية عابرة للطوائف" (بايت وغزالي، 2024، ص. 115). ومن الناحية الهيكلية، فإن هذا الحراك قضى على "مركزية الحقيقة"، فما كان يُمْنَع في مكان يُسمح به في آخر، مما وفر حماية للنخبة من الاندثار أو القمع السياسي الشامل (السامرائي، 2000، ص. 140). إن "السوق العلمية المفتوحة" كانت بمثابة صمام أمان للفكر النقدي، حيث استطاع العلماء استثمار تنافس الملوك لانتزاع امتيازات مادية واجتماعية رفعت من شأن "الطبقة المتعلمة" وجعلتها شريكاً حقيقياً في السلطة، ولو من وراء ستار الاستشارة والوزارة (مرزوق، 2014، ص. 72).

لم يغفل المؤرخون القدامى والمحدثون عن تسجيل تحول الطوائف من التنافس العسكري إلى التنافس الثقافي، وإن اختلفت مناهجهم في التحليل. فمن المصادر التاريخية الكلاسيكية، يُعد كتاب "**المقتبس من أنباء أهل الأندلس** "لابن حيان القرطبي (ت 469هـ) أبرز ما دوّن سقوط الخلافة ونشوء دويلات الطوائف بعين ناقدة، إذ اعتمد على المشاهدة المباشرة والوثائق الرسمية، مما جعله مرجعاً أساسياً لدراسة التحولات السوسيولوجية في تلك الحقبة (المقري، 1968، ج. 1، ص. 45). كما سجّل "**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** "لابن بسام الشنتريني (ت 542هـ) جانباً مهماً من التنافس الأدبي والثقافي بين بلاطات الطوائف، مبرزاً كيف حوّل الملوك الشعر والنثر إلى سلاح للهيمنة الرمزية (العبودي والوائلي، 2024، ص. 122). ومن الموسوعات المتأخرة، يظل "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** "للمقري التلمساني (ت 1041هـ) الجامع الأوفى الذي استوعب أخبار العلماء والملوك والمكتبات، مانحاً الباحث الحديث مادة غزيرة لتحليل البيئة الحاضنة للعلم (أحمد، 2022، ص. 15).

أما على صعيد الدراسات الأكاديمية المعاصرة التي تناولت هذه الفترة من منظور سوسيولوجي أو ثقافي تحليلي، فقد برزت أعمال المستشرقين مثل **إيليا فيديريكو** في كتابه "La España musulmana" الذي حلّل تنافس الطوائف على العلماء كآلية لتعويض الضعف السياسي (هونكة، 1993، ص. 95)، ودراسات **مونتغمري وات** في "تاريخ إسبانيا الإسلامية" التي ربطت بين التجزئة السياسية والانفتاح الفكري (وات، 1998، ص. 62). وفي الكتابات العربية الحديثة، يعد **علي أحمد** في "تاريخ الأندلس السياسي والحضاري" من أبرز من وظفوا مفاهيم السلطة والشرعية الثقافية في تفسير دعم ملوك الطوائف للعلماء (أحمد، 2022، ص. 85)، بينما قدّم **حسين يوسف دويدار** في "المجتمع الأندلسي في العصر الأموي" تحليلاً سوسيولوجياً لطبقة العلماء وتنقلاتهم

رغم تركيزه على العصر الأموي (دويدار، 1994، ص. 200). كما تناولت **ريمة خضري** في رسالتها عن "المكتبات في الأندلس" التحول المؤسسي للمكتبات من خزائن إلى مراكز بحثية، وهو منظور نادر في الدراسات العربية (خضري، 2022، ص. 15). وأخيراً، ساهمت أبحاث **حسين صالح الربيعي** في مجلة واسط للعلوم الإنسانية بربط التطور الجغرافي والعلمي ببيئة الطوائف التنافسية، معتمداً منهجية التحليل السوسيولوجي للحراك العلمي (الربيعي، 2024، ص. 185). تشكل هذه المصادر معاً أرضية صلبة لأي باحث يروم تفكيك آليات ازدهار العلم في ظل التشرذم السياسي، وتؤكد أن عصر الطوائف لم يكن مجرد فترة فوضى، بل مختبراً حضارياً فريداً.

المبحث الثاني: بنية الرحلة العلمية (الرحلة في طلب العلم)

الفرع الأول: المسارات العلمية والرحلة كـ "طقس عبور"

لم تكن الرحلة العلمية من الأندلس إلى المشرق مجرد رحلة دينية لأداء فريضة الحج، بل تحولت في سوسيولوجيا عصر الطوائف إلى "طقس عبور (Rite of Passage) "ضروري لترسيخ مكانة العالم ضمن النخبة العليا (عليش، 2017، ص. 25). إن المسارات المشتركة نحو بغداد والقاهرة ومكة كانت تهدف إلى تحصيل "الأساسيات" والمعايير الفقهية واللغوية الجديدة التي لا يمكن الحصول عليها محلياً، مما جعل الرحالة يعودون ليس فقط بالكتب، بل بـ"هوية أكاديمية" مشرقية تمنحهم التفوق على أقرانهم (المقري، 1968، ج. 2، ص. 310). خلال القرن الخامس الهجري، انتظمت هذه الرحلات لتصبح قناة لنقل المناهج المشرقية المتطورة في الحديث والمنطق والكيمياء، حيث كان الأندلسيون يشعرون بتبعية ثقافية إيجابية تجاه المشرق، مما دفعهم للارتحال لقضاء سنوات في مجالس كبار الشيوخ (الربيعي، 2024، ص. 203). هذه الرحلة كانت تتضمن مخاطر وصعوبات جمة، لكن "العائد الاجتماعي" كان يبرر التضحية؛ فالعالم العائد كان يُستقبل كـ"سفير للمعرفة"، ويتم التنافس على توظيفه في القضاء أو التدريس بالمساجد الجامعة (ابن خلدون، 1984، ص. 456). السوسيولوجيا هنا تكمن في أن الرحلة كانت تخلق "شبكة علاقات دولية" تربط العالم الأندلسي بمنظومة العلم الإسلامية الكبرى، مما يجعله مرجعاً موثوقاً في بلده، ويمنحه حصانة معنوية أمام تقلبات ملوك الطوائف (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 165). كما أن الرحلة كانت تساهم في "تحديث الأندلس"؛ فعبر المسارات المشرقية دخلت علوم المنطق والطب التي غيرت بنية الفكر الأندلسي من التقليد الصرف إلى المحاجة العقلية (ناصر، 2022، ص. 63).

جدول رقم (4): أهم المسارات العلمية للأندلسيين في المشرق وأهدافها التحصيلية

المسار الجغرافي المشرقي	المركز العلمي المستهدف	الهدف العلمي السوسيولوجي (تفصيلي)	الأثر على النخبة الأندلسية
طريق مصر	القاهرة، الإسكندرية، الفسطاط	دراسة الفقه المالكي، الحديث، القراءات، أصول الفقه، اللغة، النحو، الطب، الصيدلة، الفلك	تحديث المعايير الفقهية والطبية، والاتصال بمشايخ مصر ورواتها

طريق الحجاز	مكة المكرمة، المدينة المنورة، الطائف	تحصيل علوم الحديث النبوي، القراءات القرآنية، الفقه، اللقاء بحجاج الأمصار وعلماء المشرق والمغرب	إضفاء المشروعية الدينية، وتوسيع شبكة العلاقات العلمية، ونيل الإجازات العالية
طريق العراق	بغداد، البصرة، الكوفة، واسط	دراسة اللغة والنحو والبلاغة، المنطق، الفلسفة، الكيمياء، علم الكلام، أصول الفقه، الفقه المقارن، الطب، الفلك، الرياضيات	نقل النزعة العقلية العليا، والتحقيق اللغوي والمنطقي، والاطلاع على المذاهب الفقهية المختلفة
طريق الشام	دمشق، حلب، بيت المقدس، حمص	اللقاء بأعلام الأدب والشعر، الجغرافيا، التاريخ، الحديث، الفقه الشافعي، التصوف	إثراء الخيال الأدبي، والمنجز الجغرافي والتاريخي، والاتصال بالعلماء الشوام
طريق القيروان	القيروان، المهدية، تونس (إفريقية)	التبادل العلمي في الفقه المالكي، الحديث، الطب، الفلك، اللغة، الأدب	تقوية الروابط الثقافية المغاربية–الأندلسية، وتوحيد المناهج بين ضفتي المغرب

المصدر :إعداد الباحث بالاعتماد على (عليش، 2017، ص. 28؛ المقري، 1968، ج. 2، ص. 315؛ ابن خلدون، 1984، ص. 460؛ الربيعي، 2024، ص. 205).

يُظهر التحليل المنهجي للمسارات المذكورة في الجدول رقم (4) أن الرحلة العلمية كانت بمثابة "نظام اعتماد علمي رفيع" غير رسمي؛ حيث كانت كل محطة مشرقية تمنح العالم لوناً معرفياً خاصاً يساهم في تشكيل شخصيته الموسوعية (ابن خلدون، 1984، ص. 460). وقد سار الأندلسيون في رحلاتهم وفق ترتيب معين، إذ كانوا **يبدأون بالقاهرة** لتحديث معارفهم الفقهية والطبية، **ثم يتوجهون إلى مكة المكرمة** لأداء فريضة الحج واللقاء بعلماء الأمصار والحصول على الإجازات العالية، **ثم يقصدون بغداد** للتعمق في العلوم العقلية واللغوية والاطلاع على المذاهب الفقهية المختلفة، ثم يمضون إلى الشام والقيروان حسب الحاجة (المقري، 1968، ج. 2، ص. 316–320). إن اختيار بغداد لدراسة المنطق والكيمياء وعلم الكلام، والقاهرة لدراسة الفقه المالكي والطب، والحجاز لطلب الحديث والقراءات، يشير إلى وعي "تخصصي" متقدم لدى النخبة الأندلسية التي لم تكتفِ بالنقل العشوائي، بل كانت تنتقي المراكز الأكثر تقدماً في كل فن (الربيعي، 2024، ص. 205). ومن الناحية السوسيولوجية، فإن طريق الحجاز لم يكن دينياً فحسب، بل كان فرصة للقاء علماء من أقصى الشرق الإسلامي، مما جعل الأندلسيين جزءاً من شبكة علمية عالمية عابرة للأقاليم (ناصر، 2022، ص. 65). هذه الرحلات أدت إلى "تعميم المعرفة" في الأندلس؛ حيث كان الرحالة يعودون بكتبٍ ومصنفاتٍ جديدة لم تكن موجودة من قبل، مما أثار نهضة مكتبية وفكرية تزامنت مع عصر الطوائف (المقري، 1968، ج. 2،

ص. 318). الاستنتاج الأعمق هنا هو أن الرحلة كانت تعمل كمعيار اجتماعي؛ فلا يصل إلى مرتبة "النخبة العليا" إلا من خاض غمار السفر وتحمل مشاق الرحلة، مما جعل "الارتحال" شرطاً للكفاءة والجدية العلمية (عليش، 2017، ص. 30). كما أن العائدين من المشرق كانوا يحملون معهم رصيداً علمياً هائلاً يتحول فوراً إلى مكانة سياسية، حيث كان ملوك الطوائف يتقربون من هؤلاء العائدين لضمان اعتراف المشرق بشرعية دولهم الثقافية، مما جعل العالم الرحالة وسيطاً حضارياً لا غنى عنه في بنية الدولة الأندلسية المتفرقة سياسياً (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 168).

الفرع الثاني: الإجازة المشرقية كـ "اعتماد أكاديمي دولي"

مثّلت "الإجازة" التي يحصل عليها العالم الأندلسي من شيوخ المشرق ما يشبه "الاعتماد الأكاديمي الدولي" في العصر الحديث، حيث كانت تمنح حاملها وزناً سوسيوسياسياً هائلاً يؤهله لتصدر المجالس العلمية وتولي مناصب القضاء الكبرى (عليش، 2017، ص. 35). في عصر الطوائف، لم يكن يكفي أن يكون المرء عالماً في بيئته المحلية، بل كان عليه أن يثبت "سند اتصاله" بالمراكز المشرقية (بغداد، القاهرة، مكة) عبر إجازات خطية تمنحه الحق في الرواية والتدريس (المقري، 1968، ج. 3، ص. 22). هذه الإجازة كانت تعمل كـ"رأس مال رمزي" يرفع من قيمة العالم في "سوق المناصب"؛ فالأمير في إشبيلية أو سرقسطة كان يفضل تعيين قاضٍ يحمل إجازة من كبار فقهاء المشرق ليعطي أحكامه صبغة من "العالمية" والمشروعية التي تتجاوز حدود إمارته الضيقة (الربيعي، 2024، ص. 208). سوسيولوجياً، كانت الإجازة تخلق طبقة من "النخبة الموثقة" التي تحتكر الحقيقة العلمية وتوجّه الرأي العام، مما جعل العلماء يحرصون على ذكر شيوخهم المشرقيين في مقدمات كتبهم كنوع من "التوثيق الأكاديمي" الذي يضمن قبول مؤلفاتهم (ابن خلدون، 1984، ص. 465). كما أن هذه الإجازات كانت وسيلة لـ"نقل التقاليد العلمية"؛ فالأساليب النقدية والمناهج التحليلية المشرقية كانت تنتقل عبر الإجازة لتطبق في الأندلس، مما ساعد على تطوير الفكر الأندلسي وجعله أكثر حيوية ونقداً للموروث (ناصر، 2022، ص. 68). إن الإجازة المشرقية لم تكن مجرد ورقة، بل كانت "شهادة كفاءة اجتماعية" تضمن للعالم العيش الكريم والحماية من تعسف الحكام، لأن المساس بعالمٍ "مجاز دولياً" كان يمثل إحراجاً سياسياً للحاكم أمام بقية العالم الإسلامي (العبودي والوائلي، 2024، ص. 135).

جدول رقم (5): أبعاد الإجازة المشرقية وأثرها على المكانة الاجتماعية للعالم الأندلسي

البعد الوظيفي للإجازة	التأثير على المكانة الاجتماعية للعالم	الأثر السياسي والمؤسسي
التوثيق والسند العلمي	الاعتراف بالعالم كمرجع "متصل السند" بالمشرق	الأولوية في تولي مناصب القضاء والفتوى
القيمة الرمزية والتمايز	التمايز عن "العلماء المحليين" الذين لم يرحلوا	الحصول على رواتب وأعطيات مجزية من الملوك
المشروعية الدولية	حماية العالم من الاضطهاد بفضل سمعته الخارجية	القيام بأدوار دبلوماسية بين الطوائف والمشرق
جودة المحتوى المعرفي	ضمان دقة المادة العلمية والمنهج المنقول	تطوير المناهج التعليمية في المساجد الكبرى

الاندماج في الشبكة	الانتماء لـ"الطبقة العالمية للمثقفين"	سهولة الحراك الجغرافي بين الحواضر الإسلامية

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (عليش، 2017، ص. 38؛ ابن خلدون، 1984، ص. 468).

يكشف التحليل السوسيولوجي للجدول رقم (5) أن الإجازة المشرقية كانت هي "العملة الصعبة" في التبادل الثقافي الأندلسي؛ فهي لم تكن مجرد تحصيل معرفي، بل كانت "أداة للترقي الطبقي" (المقري، 1968، ج. 3، ص. 25). العالم الذي يحمل إجازة من شيوخ بغداد كان يُنظر إليه كـ"خبير دولي"، مما جعل رأيه في السياسة والشرع مسموعاً ومؤثراً (الربيعي، 2024، ص. 210). هذه الظاهرة أدت إلى نوع من "الأرستقراطية الأكاديمية" حيث تشكلت أسر علمية توارثت الرحلة والإجازة، مما عزز من استقرار الطبقة المثقفة كقوة موازية لسلطة ملوك الطوائف (ناصر، 2022، ص. 70). من الناحية التحليلية، فإن الإجازة ساهمت في "توحيد المعايير" العلمية؛ فالعلم الذي يُدرس في إشبيلية أصبح هو نفسه الذي يُدرس في القاهرة، مما منع انزلاق الأندلس نحو العزلة الفكرية رغم التجزئة السياسية (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 170). كما أن "المشروعية الدولية" التي تمنحها الإجازة جعلت من العالم "حصناً ثقافياً"؛ فالحكام الذين كانوا يسعون لشرعية حكمهم، كانوا يجدونها في رعاية هؤلاء العلماء، مما خلق حالة من "الاعتماد المتبادل" بين السلطة والعلم (العبودي والوائلي، 2024، ص. 137). الاستنتاج الأهم هو أن الإجازة المشرقية كانت هي الجسر الذي حافظ على انسيابية الفكر الإسلامي من المشرق إلى المغرب، ومن ثم تطويره في الأندلس بروح تجريبية نقدية، مما جعل النخبة الأندلسية في عصر الطوائف هي النخبة الأكثر تأثيراً بفضل هذا التواصل العابر للحدود (ابن خلدون، 1984، ص. 470).

الفرع الثالث: نقل المناهج وتطوير العلوم العقلية (من النقل إلى النقد)

شهد عصر الطوائف قفزة نوعية في سوسيولوجيا المعرفة، حيث انتقل العلماء الأندلسيون من مرحلة "النقل" الأمين لعلوم المشرق إلى مرحلة "النقد" والتطوير التجريبي، مما وضع بذور "المدرسة الأندلسية" المتميزة (فروخ، 1970، ص. 245). إن الرحالة الأندلسيين لم يكتفوا بجلب كتب الأوائل، بل بدأوا في "تبيئة" هذه العلوم لتناسب واقعهم المحلي، كما فعل علماء الفلاحة الذين طوّروا "الكتب النبطية" لتناسب التربة والمناخ الأندلسي، والزهراوي الذي حوّل الطب من نظريات جالينوس إلى "جراحة تجريبية" عملية (صبحي، 1977، ص. 112). في الفلسفة والمنطق، برز ابن باجة الذي نقد أفكار الفارابي وبطليموس، مقدماً رؤى جديدة حول "توحّد المتوحّد" ومحاولاً تطهير العلم من التفسيرات الإشراقية لصالح البرهان العقلي الصرف (كحالة، 1972، ص. 88). هذا التحول نحو "النزعة النقدية" كان مدعوماً ببيئة الطوائف التي سمحت بهامش من حرية الرأي نتيجة التعددية السياسية؛ فالعلماء لم يعودوا يخشون سلطة مركزية واحدة تفرض مذهباً فكرياً واحداً (الربيعي، 2024، ص. 213). الأندلسيون أضافوا طابعاً "تجريبياً" ملموساً للعلوم؛ ففي الطب ركز ابن زهر على التشريح السريري، وفي الفلك انتقد الزرقالي وابن الهيثم نماذج بطليموس، مما جعل العلم الأندلسي يتسم بـ"الواقعية العلمية" التي ترفض التسليم المطلق بالوافد دون تجربة وبرهان (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 175). هذا النضج الفكري هو ما جعل المنجز العلمي لهذا العصر يصبح المادة الأساسية التي تُرجمت لاحقاً لتشكّل وعي النهضة الأوروبية (فروخ، 1970، ص. 250).

جدول رقم (6): تحولات المناهج العلمية في الأندلس (من النقل المشرقي إلى النقد الأندلسي)

العلم / الحقل المعرفي	المنهج المنقول (المشرق/الأوائل)	المنهج المطور (الأندلسي)	أبرز الرواد والمساهمات العلمية
الطب والجراحة	نظريات جالينوس والأخلاط	المنهج السريري والجراحة التجريبية	الزهراوي (ابتكار الأدوات الجراحية)
علم الفلاحة والزراعة	الفلاحة النبطية (منظور نظري)	التجارب الميدانية وتبيئة المحاصيل	ابن العوام (المنهج التجريبي)
الفلسفة والمنطق	الشروح المشائية والمنطق الصوري	نقد الأورغانون والمنطق البرهاني	ابن باجة (رسالة الوداع)
علم الفلك والنجوم	نظام بطليموس (الدوائر المركزية)	رصد الآلات ونقد أخطاء بطليموس	الزرقالي (ابتكار الأسطرلاب الشامل)
الكيمياء والصيدلة	الكيمياء الجابرية (الرمزية)	الصيدلة العملية والأدوية المفردة	ابن وافد (تطوير علم العقاقير)

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (فروخ، 1970، ص. 248؛ كحالة، 1972، ص. 90؛ صبحي، 1977، ص. 115).

يُبرهن التحليل السوسيولوجي للتحولات المنهجية المذكورة في الجدول رقم (6) على أن النخبة العلمية الأندلسية في عصر الطوائف بلغت مرحلة "البلوغ المعرفي"؛ حيث لم يعد "الوافد المشرقي" مقدساً، بل أصبح موضوعاً للفحص والاختبار (الربيعي، 2024، ص. 215). إن هذا التوجه نحو "الواقعية العلمية" يعكس تغيراً في "الهابيتوس" الثقافي للمجتمع، حيث أصبح الإنجاز المادي الملموس هو معيار التفوق العلمي (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 177). السوسيولوجيا هنا تشير إلى أن "روح النقد" كانت مرتبطة بظهور طبقة من العلماء الذين يجمعون بين العلم والعمل، مما جعلهم ينتقدون النظريات القديمة التي لا تتفق مع المشاهدة الحسية (فروخ، 1970، ص. 252). فابن باجة، مثلاً، حين انتقد بطليموس، لم يفعل ذلك من باب الترف الذهني، بل بناءً على أرصاد فلكية دقيقة، وهو ما فعله الزهراوي أيضاً بابتكاره أدوات جراحية لم يعرفها القدماء (كحالة، 1972، ص. 92). هذا التحول من "النقل" إلى "النقد" جعل الأندلس تتحول من تلميذة للمشرق إلى أستاذة للعالم، حيث بدأت في إنتاج معارف أصلية تتسم بالدقة والمنهجية (صبحي، 1977، ص. 118). ومن الناحية الاجتماعية، فإن هذا التطور خلق ثقة بالنفس لدى النخبة العلمية، مما مكنها من مواجهة المحافظين بحجج منطقية وعلمية قوية، وهو ما مهد الطريق لاحقاً لظهور مدرسة ابن رشد التي حاولت التوفيق بين الحكمة والشريعة (العبودي والوائلي، 2024، ص. 138). الاستنتاج النهائي هو أن المدرسة الأندلسية في

عصر الطوائف كانت هي الجسر الحقيقي نحو المنهج العلمي الحديث بفضل إعلاء قيمة التجربة والنقد على حساب التقليد (الربيعي، 2024، ص. 218).

المبحث الثالث: النخبة العلمية والمجتمع (العلاقات البيئية)

الفرع الأول: جدلية الفقيه والفيلسوف وصراع النزعات العقلية

شهد عصر الطوائف صراعاً سوسيولوجياً حاداً بين تيارين داخل النخبة العلمية: تيار "الفقهاء" الذين مثلوا السلطة المحافظة والمدافعين عن المذهب المالكي الرسمي، وتيار "الفلاسفة" والمشتغلين بالعلوم العقلية الذين مثلوا النزعة النقدية (الرفاعي، 2025، ص. 45). هذا الصراع لم يكن مجرد خلاف فكري، بل كان صراعاً على "رأس المال الثقافي" والقرب من السلطة والجمهور؛ فالفقهاء كانوا يمتلكون القوة الروحية والتأثير المباشر على العامة من خلال الفتاوى والقضاء، مما جعل ملوك الطوائف يحرصون على إرضائهم لضمان ولاء الرعية (الكبيسي، 2025، ص. 78). في المقابل، كان الفلاسفة والعلماء يحاولون انتزاع مساحة للتفكير الحر، معتمدين على رعاية الملوك المستنيرين الذين كانوا يجدون في الفلسفة لغة مشتركة مع النخب العالمية (الحجاج، 2025، ص. 32). الجدلية بلغت ذروتها باتهام بعض الفلاسفة بـ"الزندقة والإلحاد" كما حدث مع ابن باجة الذي اغتيل بالسم نتيجة تحريض خصومه، ومع ابن رشد الذي تعرض للمحنة لاحقاً (العبودي والوائلي، 2024، ص. 140). ومع ذلك، فإن هذا الصراع أنتج تياراً "توفيقياً" حاول إيجاد صلة وصل بين العقل والنقل، وهو ما تجلّى في كتابات ابن رشد (فصل المقال) التي حاولت البرهنة على أن الحكمة هي أخت الشريعة (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 180). سوسيولوجيا، كان الفقهاء يمثلون الاستمرارية، بينما مثل الفلاسفة التغيير، وتفاعل هذين القطبين هو ما منح الفكر الأندلسي توازنه وعمقه التاريخي (الربيعي، 2024، ص. 220).

جدول رقم (7): تحليل الصراع بين التيارات الفكرية (الفقهاء مقابل الفلاسفة)

محور الصراع	تيار الفقهاء (المحافظين)	تيار الفلاسفة (العقلانيين)	المخرج السوسيولوجي للجدلية
المرجعية الفكرية	المذهب المالكي، التقليد، والنقل	العلوم العقلية، البرهان، والمنطق	نشوء "التيار التوفيقي" (ابن رشد)
القاعدة الاجتماعية	العامة، المساجد، وجهاز القضاء	البلاطات الملكية، والنخبة المثقفة	توازن القوى بين "السلطة والجمهور"
الأداة والوسيلة	الفتوى، الإجماع، والرقابة الدينية	لتأليف، المناظرة، والتحليل النقدي	رقي المناظرات العلمية ونضج الفكر
نقاط الصدام	خلق العالم، وعلم الله بالجزئيات	حرية البحث في أسرار الطبيعة والكون	تمييز الحقيقة البرهانية عن الخطابية

العلاقة بالسلطة	حماة الشرعية السياسية للحاكم	مستشارو الحاكم ومطورو علومه	استخدام الحاكم لكليهما لتعزيز هيبته

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (الرفاعي، 2025، ص. 48؛ الكبيسي، 2025، ص. 80؛ الحجاج، 2025، ص. 35).

يوضح التحليل السوسيولوجي للجدول رقم (7) أن العلاقة بين الفقيه والفيلسوف كانت علاقة "تدافع وظيفي" داخل بنية المجتمع الأندلسي؛ فالفقيه كان يقوم بدور الضبط الاجتماعي والحفاظ على الهوية، بينما كان الفيلسوف يقوم بدور المحفز الفكري والتواصل الحضاري (العبودي والوائلي، 2024، ص. 142). هذا الصراع أنتج حالة من اليقظة الدائمة؛ إذ اضطر كل طرف لتطوير أدواته وحججه لمواجهة الآخر، مما أدى إلى ازدهار علم الكلام وأصول الفقه بروح منطقية (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 182). إن اتهامات الزندقة لم تكن مجرد تعصب ديني، بل كانت أداة سياسية استخدمها الفقهاء لتقليص نفوذ العلماء العقلانيين داخل القصور (الربيعي، 2024، ص. 222). السوسيولوجيا هنا تكشف أن ملوك الطوائف كانوا يلعبون دور "الموازن"؛ فهم يدعمون الفلاسفة سراً لاستمتاعهم بعلمهم، ويسايرون الفقهاء علناً لضمان استقرار عروشهم (الكبيسي، 2025، ص. 82). الاستنتاج العميق هو أن البيئة التنافسية لعصر الطوائف سمحت ببقاء الفلسفة حية رغم هجمات الفقهاء، لأن العالم الملاحق في إمارة كان يجد ملاذاً في إمارة أخرى أكثر انفتاحاً، مما جعل الأندلس ملاذاً للعقل في وقت كان المشرق يشهد تراجعاً في العلوم العقلية (الحجاج، 2025، ص. 38). بالتالي، فإن جدلية الفقيه والفيلسوف لم تكن وبالاً، بل كانت المحرك الداخلي الذي جعل الفكر الأندلسي يتسم بخصائص النقد الذاتي والمراجعة المستمرة، مما أهله لقيادة الفكر الإنساني لقرون (الرفاعي، 2025، ص. 50).

الفرع الثاني: العلماء كسفراء ودبلوماسيين عابرين للحدود

في ظل التجزئة السياسية والتشرذم الذي ميز عصر ملوك الطوائف، برز العلماء كأهم سفراء ودبلوماسيين قادرين على ردم الفجوات بين الدويلات المتصارعة، بل وبين الأندلس والقوى الخارجية (لويس، 1954، ص. 156). إن امتلاك العالم لـ"لغة مشتركة" من العلم والأدب، واحترامه من قبل "العدو والصديق"، مكنه من القيام بأدوار تفاوضية عجز عنها القادة العسكريون (أحمد، 2022، ص. 112). علماء مثل ابن زيدون عملوا كوزراء وسفراء للمعتضد بن عباد، حيث وظفوا بلاغتهم وعلاقاتهم العلمية لإقناع الملوك الآخرين بالتحالف أو التهدئة (العبودي والوائلي، 2024، ص. 145). كما أن الجغرافيين والرحالة كانوا يعملون كمستشارين استراتيجيين يزودون الحكام بمعلومات دقيقة عن التحركات العسكرية والجغرافيا السياسية (ناصر، 2022، ص. 73). السوسيولوجيا الكامنة هنا هي أن المكانة العلمية منحت العالم "حصانة دبلوماسية"؛ فقتل العالم أو إهانته كان يعتبر جريمة أخلاقية كبرى تستفز الرأي العام العلمي في كافة الطوائف، مما جعلهم المفاوضين الأمثل في لحظات الأزمات (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 185). هؤلاء السفراء لم يدافعوا عن عروش ملوكهم فحسب، بل دافعوا عن بقاء الكيانات الإسلامية أمام الزحف المسيحي، مستخدمين الحكمة والعلم كأدوات "قوة ناعمة" لحفظ التوازن في شبه الجزيرة (الربيعي، 2018،

ص. 42). إن سوسيولوجيا العالم السفير في عصر الطوائف تثبت أن سلطة المعرفة كانت في كثير من الأحيان أقوى وأكثر ديمومة من سلطة السيف (لويس، 1954، ص. 160).

جدول رقم (8): نماذج من النخبة العلمية وأدوارهم الدبلوماسية والسياسية (عصر الطوائف)

الشخصية العلمية	الدور السياسي والدبلوماسي	المهمة والنتائج المحققة	التأثير على استقرار الطائفة
ابن زيدون (الوزير والسفير)	سفير المعتضد بن عباد	مفاوضات لتعزيز نفوذ إشبيلية وتوحيد الصفوف	رفع المكانة الدبلوماسية لبني عباد
أبو عمر بن عبد البر	قاضٍ ومستشار سياسي	تقديم الاستشارات الشرعية والسياسية للحكام	إضفاء مشروعية دينية على السياسات
ابن وافد الطليطلي	وزير ومستشار علمي	إدارة شؤون الدولة وتطوير الزراعة في طليطلة	تعزيز الأمن الغذائي والسياسي
مجاهد العامري (الحاكم العالم)	حاكم ومشارك في علوم اللسان	بناء علاقات دولية قائمة على الاحترام العلمي	استقرار طائفة دانية ثقافياً
ابن حزم الأندلسي	وزير ومفكر ناقد	صياغة الفكر السياسي ومواجهة الفساد الإداري	خلق تيار إصلاحي عابر للحدود

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (أحمد، 2022، ص. 115؛ العبودي والوائلي، 2024، ص. 147؛ ناصر، 2022، ص. 75).

يكشف التحليل السوسيولوجي للأدوار الدبلوماسية الموضحة في الجدول رقم (8) أن النخبة العلمية لم تكن منعزلة، بل كانت العقل المدبر لإدارة الأزمات السياسية (الربيعي، 2018، ص. 45). إن تحول العالم إلى سفير يعكس حاجة ملوك الطوائف إلى وجاهة ثقافية تدعم مطالبهم السياسية؛ فالحاكم الذي يرسل عالماً كبيراً للتفاوض يبعث برسالة مفادها أنه حامي الحضارة (لويس، 1954، ص. 162). السوسيولوجيا هنا تشير إلى أن الشرعية العلمية كانت تُستخدم لترميم الشرعية السياسية المتآكلة؛ حيث كان العلماء يضعون فتاويهم واجتهاداتهم في خدمة استقرار الدول، وفي الوقت نفسه كانوا يمارسون دوراً رقابياً ونقدياً يمنع السلطة من التغول (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 188). الاستنتاج الأهم هو أن اللغة العلمية العابرة للحدود جعلت من الأندلس وحدة ثقافية متماسكة رغم تمزقها السياسي؛ فالعالم في إشبيلية كان يراسل زميله في سرقسطة، مما خلق شبكة أمان معرفية حافظت على انسيابية المعلومات والتجارة والدبلوماسية (أحمد، 2022، ص. 118). هذا الدور الوساطي هو ما مكن الأندلس من الصمود طويلاً أمام التحديات الخارجية، حيث كان العلماء هم صمامات الأمان التي تمنع الانهيار الشامل في لحظات الصراع الداخلي (العبودي والوائلي، 2024، ص. 149). بالتالي، فإن سوسيولوجيا العالم السفير تثبت أن "سلطة المعرفة" كانت هي الضمانة الوحيدة لاستمرار الحوار بين كيانات سياسية متصارعة (ناصر، 2022، ص. 78).

الفرع الثالث: الأوقاف التعليمية والاستقلال المالي للعلماء

لعبت الأوقاف دوراً محورياً في سوسيولوجيا النخبة العلمية، حيث وفّرت لهم استقلالاً مالياً عن تقلبات الحكام، مما سمح بهامش واسع من حرية الرأي والنقد السياسي (سالم، 1985، ص. 234). فالمدرس في المسجد الجامع لم يكن يتقاضى راتبه من خزانة الحاكم مباشرة، بل من ريع أراضٍ وعقارات "محبسة" خصصها أهل الخير أو السلاطين السابقون لخدمة العلم (دويدار، 1994، ص. 245). هذا النظام المالي المستقل حوّل العالم من "موظف لدى السلطة" إلى "خادم للمعرفة"، مما مكنه من معارضة سياسات الحكام أو نقد ظلمهم دون خوف من قطع الرزق (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 190). الأوقاف لم تقتصر على المساجد، بل شملت المكتبات التي كانت توفر الكتب والورق للطلاب بالمجان، مما ساعد في خلق "ديمقراطية تعليمية" سمحت لأبناء الطبقات الفقيرة بالترقي نحو النخبة العلمية (خضري، 2022، ص. 60). السوسيولوجيا هنا تشير إلى أن الوقف كان وسيلة المجتمع لحماية العقل من استبداد السلطة، حيث كان العلماء يوقفون كتبهم لضمان استمرار حلقات الدرس بعيداً عن الرقابة السياسية (الربيعي، 2024، ص. 225). إن هذا الاستقلال المالي هو ما يفسر شجاعة بعض الفقهاء في مواجهة ملوك الطوائف، حيث كانت خزائن الأوقاف هي الضمانة المادية لبقاء العلم كقوة مستقلة ومنظمة للمجتمع (سالم، 1985، ص. 238)

جدول رقم (9): أنواع الأوقاف التعليمية وأثرها السوسيولوجي على النخبة (عصر الطوائف)

نوع الوقف التعليمي	الأصول الموقوفة (ريع)	الأثر السوسيولوجي والمهني	درجة الاستقلال المالي للعلماء
أوقاف المساجد الجامعة	عقارات، حوانيت، وأراضٍ	توفير رواتب مستقرة للمدرسين والقراء	عالية جداً (عن خزانة الحاكم)
أوقاف المكتبات العامة	مخطوطات، ورق، وأدوات نسخ	ديمقراطية المعرفة وسهولة البحث العلمي	استقلال الموارد البحثية
أوقاف سكن الطلاب	خانات ودور إقامة مجانية	تمكين الفقراء من الالتحاق بالنخبة	عالية (تحرر من الضغوط)
أوقاف الصدقات الجارية	ريع قرى كاملة ومزارع	بناء مراكز بحثية مستدامة للأجيال	مؤسسية ومستمرة تاريخياً
الأحباس الشخصية للكتب	مجموعات كتب العلماء النادرة	الحفاظ على التراث العلمي من التشتت	استمرارية المنهج العلمي

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (سالم، 1985، ص. 236؛ دويدار، 1994، ص. 248؛ خضري، 2022، ص. 63).

يكشف التحليل السوسيولوجي لمنظومة الأوقاف الموضحة في الجدول رقم (9) أن اقتصاد المعرفة في الأندلس كان مبنياً على الاستدامة والمشاركة المجتمعية (الربيعي، 2024، ص. 227). إن وجود أوقاف مخصصة للطلاب يعني أن النخبة العلمية كانت "نخبة مفتوحة" تتجدد بمداد الكفاءة لا بمداد الحسب وحده، مما رفع من جودة المخرجات العلمية (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 192). ومن الناحية السياسية، فإن الاستقلال المالي الناتج عن الأوقاف خلق حالة من توازن القوى؛ فالحاكم كان يدرك أنه لا يملك السيطرة الكاملة على لقمة عيش العالم، مما اضطره لاحترام حرية الرأي والمناظرة (سالم، 1985، ص. 240). الأوقاف حوّلت المساجد إلى "مناطق حرة ثقافياً"، حيث تُناقش علوم الأوائل والفلسفة تحت غطاء الخدمة العامة، مما وفر حماية للمفكرين الأحرار (دويدار، 1994، ص. 250). كما أن ديمومة الوقف ضمنت انتقال المعرفة عبر الأجيال دون انقطاع بسبب سقوط دولة أو قيام أخرى، وهو ما يفسر لماذا ظل المنجز العلمي الأندلسي متراكماً وصاعداً رغم الهزائم العسكرية (خضري، 2022، ص. 65). الاستنتاج النهائي هو أن الأوقاف كانت هي البنية التحتية الصلبة التي شُيّدت عليها النخبة العلمية استقلالها الفكري وريادتها الحضارية، مما جعل العلم في الأندلس مؤسسة مجتمعية عصية على الاحتكار السياسي (العبودي والوائلي، 2024، ص. 150).

المبحث الرابع: التراكم المعرفي وبناء "المدرسة الأندلسية"

الفرع الأول: التفرد والواقعية العلمية (الفلاحة والجراحة نموذجاً)

توج عصر ملوك الطوائف جهوده ببناء مدرسة أندلسية متميزة اتسمت بالواقعية العلمية، حيث تجاوز الأندلسيون مرحلة النظريات المجردة إلى التطبيق العملي المرتبط بالبيئة المحلية (ابن العوام، 1980، ص. 5). في مجال الفلاحة، برز علماء مثل ابن العوام الإشبيلي الذين لم يكتفوا بنقل كتب القدماء، بل أجروا تجارب ميدانية لتبيئة النباتات المشرقية في التربة الأندلسية، وطوروا أنظمة ري متقدمة، مما حوّل الفلاحة إلى علم تجريبي دقيق (الربيعي، 2024، ص. 230). أما في الطب، فقد بلغت الواقعية الأندلسية ذروتها مع الزهراوي الذي ابتكر أكثر من مائتي أداة جراحية ووصف عمليات معقدة بناءً على المشاهدة والتشريح، وليس فقط نقلاً عن جالينوس (الزهراوي، 2004، ص. 15). هذا التفرد كان نتاج سوسيولوجيا النخبة التي كانت تحتك بالواقع اليومي للمجتمع؛ فالعالم الأندلسي كان غالباً ما يجمع بين العلم والتجارة أو الزراعة، مما جعل أبحاثه تهدف لحل مشكلات حقيقية (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 195). هذه المدرسة الأندلسية لم تكن مجرد صدى للمشرق، بل كانت كياناً مستقلاً يمتلك منهجيته الخاصة القائمة على النقد والتجريب، وهو ما منحها التميز في العلوم العقلية والطبية والفلكية التي أصبحت مرجعاً للعالم لقرون طويلة (مهدي، 2026، ص. 110). إن الإنجاز العلمي في هذا العصر لم يقتصر على التنظير، بل تعداه إلى حلول عملية رفعت من مستوى المعيشة والصحة العامة، مما جعل العلم قوة دافعة للتنمية (ناصر، 2022، ص. 80).

جدول رقم (10): ملامح التفرد والواقعية العلمية في المدرسة الأندلسية (عصر الطوائف)

الحقل العلمي	المنجز الأندلسي المتفرد	البعد الواقعي والتطبيقي	الأثر على المسار العلمي العالمي

علم الفلاحة والزراعة	تبيئة النباتات وتطوير الري	تطبيق العلم على التربة المحلية	أساس النهضة الزراعية في أوروبا
الطب والجراحة الحديثة	ابتكار أدوات جراحية متخصصة	التركيز على التشريح والتدخل السريري	الزهراوي كمرجع للجراحة لـ 500 عام
الصيدلة وعلم العقاقير	كتاب "الأدوية المفردة"	تصنيف النباتات الطبية المحلية	تطوير صناعة الأدوية في العصور الوسطى
علم الفلك والملاحة	ابتكار الأسطرلاب الزرقالي	الرصد الدقيق وتصحيح الجداول	مادة أساسية للملاحين الأوروبيين
الفلسفة والفيزياء	نقد المحركات وبذور القصور الذاتي	ربط الفلسفة بالحياة والسعادة العملية	تمهيد الطريق لقوانين الحركة الحديثة

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (ابن العوام، 1980، ص. 10؛ الزهراوي، 2004، ص. 20؛ مهدي، 2026، ص. 115).

يبرز التحليل السوسيولوجي للجدول رقم (10) أن المدرسة الأندلسية كانت مدرسة عملية بامتياز؛ فالنخبة العلمية لم تنفصل عن احتياجات المجتمع المادية، بل وظّفت العلم لرفع جودة الحياة (الربيعي، 2024، ص. 232). إن التفرد في الفلاحة والجراحة يشير إلى تحول في العقلية العلمية نحو الاستقراء والملاحظة الحسية، وهو جوهر المنهج العلمي الحديث (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 198). السوسيولوجيا هنا تفسر لماذا كان العلماء الأندلسيون يحظون باحترام شعبي واسع؛ لأن منجزاتهم كانت مرئية وناجعة، فالزهراوي لم يكن يعالج الملوك فقط، بل كان يمارس الطب للجميع، مما جعل العلم خدمة مجتمعية (الزهراوي، 2004، ص. 25). هذا التوجه نحو الواقعية كان رد فعل على التشرذم السياسي؛ ففي ظل غياب الحماية العسكرية القوية، وجد المجتمع في التفوق العلمي والتقني وسيلة للبقاء والازدهار الاقتصادي (ابن العوام، 1980، ص. 15). الاستنتاج الأعمق هو أن المدرسة الأندلسية في عصر الطوائف نجحت في توطين العلم وتحويله إلى جزء من الهوية، مما جعل المنجز العلمي هو الحصن الحقيقي الذي لم يسقط بسقوط المدن (مهدي، 2026، ص. 118). بالتالي، فإن الواقعية العلمية الأندلسية كانت هي الجسر الذهبي الذي نقل البشرية من التفسيرات الغيبية للظواهر إلى التفسيرات العلمية القائمة على السبب والنتيجة (ناصر، 2022، ص. 82).

الفرع الثاني: عصر الطوائف كجسر ذهبي للنهضة الأوروبية

لم يكن عصر ملوك الطوائف مجرد مرحلة ختامية، بل كان هو الجسر الذهبي الذي عبر منه التراث العلمي الإسلامي واليوناني إلى أوروبا، ممهّداً للنهضة الأوروبية (هونكة، 1993، ص. 210). فمع سقوط طليطلة في يد القشتاليين عام 478هـ، لم تُدمر مكتباتها، بل تحولت إلى مركز ترجمة عالمي حيث تلاقى العلماء المسلمون واليهود والمسيحيون لنقل كنوز عصر الطوائف إلى

اللاتينية (وات، 1998، ص. 145). ترجمات طليطلة شملت أعمال الزهراوي في الجراحة، وجداول الزرقالي الفلكية، وشروح ابن باجة، مما جعل الفكر الأندلسي المادة الأساسية لمناهج جامعات باريس وبولونيا (سالم، 1977، ص. 56). السوسيولوجيا هنا تكشف عن دور النخبة العلمية كوسيط حضاري؛ حيث استمر العلماء في العيش تحت الحكم الجديد ونقلوا معارفهم، مما يثبت أن المعرفة تمتلك ديناميكية بقاء تتجاوز الهويات السياسية (الربيعي، 2024، ص. 235). إن انتقال المنهج النقدي والتجريبي الأندلسي إلى أوروبا كان هو المحفز لظهور الفكر العلمي الحديث، حيث أدرك الأوروبيون عبر المترجمين الأندلسيين أن العلم لا يقوم على النقل بل على البرهان والمشاهدة (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 200). بالتالي، فإن ملوك الطوائف الذين تنافسوا في بناء المكتبات ساهموا في حفظ الذاكرة العلمية للبشرية ونقلها إلى الضفة الأخرى، ليكون عصرهم هو نقطة الانطلاق الحقيقية للعلم العالمي المعاصر (العبودي والوائلي، 2024، ص. 152).

جدول رقم (11): أثر المنجز العلمي لعصر الطوائف على النهضة الأوروبية (عبر الترجمة)

العالم الأندلسي الرائد	العمل العلمي المترجم للاتينية	المركز الأوروبي المتأثر	الأثر التاريخي الطويل في أوروبا
الزهراوي(Albucasis)	كتاب "التصريف" (الجراحة)	جامعات ساليرنو ومونبلييه	لمرجع الأول للجراحة لـ 5 قرون
الزرقالي(Arzachel)	الجداول الطليطلية" الفلكية	الملاحون والباحثون في إسبانيا	أساس الكشوف الجغرافية الكبرى
ابن باجة (Avempace)	نقد المحركات والفيزياء	فكر غاليليو والنظريات الحركية	بذور قوانين الحركة الحديثة
ابن رشد(Averroes)	شروح أرسطو وفصل المقال	جامعة باريس (الرشدية اللاتينية)	فصل العقل عن الإيمان والنهضة الفكرية
ابن العوام وعلماء الفلاحة	كتب الفلاحة والري الأندلسية	جنوب أوروبا وحوض المتوسط	تطوير الزراعة والري في أوروبا الجنوبية

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (هونكة، 1993، ص. 215؛ وات، 1998، ص. 148؛ سالم، 1977، ص. 60).

يكشف التحليل السوسيولوجي للجدول رقم (11) أن التراث العلمي لعصر الطوائف كان هو المختبر الأول الذي نهلت منه أوروبا للخروج من عصورها المظلمة (الربيعي، 2024، ص. 238). إن تحول الأندلس إلى جسر معرفي لم يكن صدفة، بل نتيجة لتراكم نوعي في المناهج البحثية جعلت العلم الأندلسي أكثر جاذبية وقابلية للتطبيق من العلم اليوناني الأصلي (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 202). السوسيولوجيا هنا تشير إلى أن النخبة المترجمة في طليطلة قامت بدور الناقل الثقافي الذي حرّر

المعرفة من قيودها اللغوية لتصبح ملكاً للبشرية (هونكة، 1993، ص. 218). إن تأثر جامعات باريس وبولونيا بجراحة الزهراوي يعني أن العقل الأندلسي ظل يحكم التطور العلمي الأوروبي لقرون بعد زوال الوجود الإسلامي سياسياً (وات، 1998، ص. 150). هذا يثبت فرضية البحث بأن القوة الثقافية تمتلك عمراً افتراضياً أطول بكثير من القوة العسكرية؛ فإشبيلية وسرقسطة اللتان سقطتا سياسياً، استمرتا في قيادة العالم فكرياً عبر الكتب المترجمة (العبودي والوائلي، 2024، ص. 154). الاستنتاج النهائي هو أن عصر الطوائف كان الرحم الحقيقي الذي وُلِدت فيه بذور الحداثة العلمية، وأن النخبة العلمية الأندلسية هي المهندس المجهول الذي صمم هيكل النهضة الأوروبية بمداد البحث والتجريب (سالم، 1977، ص. 62).

الفرع الثالث: الهوية العلمية كحصن ثقافي ضد الزوال السياسي

بالرغم من السقوط السياسي المروع لدويلات الطوائف، إلا أن المنجز العلمي ظل هو الحصن الثقافي الذي حافظ على الهوية الأندلسية ومنع ذوبانها الشامل (الخشاب، 2001، ص. 88). النخبة العلمية هي من حافظت على اللغة والتقاليد العلمية التي استمرت حتى بعد زوال الدول سياسياً، مما يثبت أن القوة الثقافية أطول عمراً من العروش العسكرية (مرزوق، 1998، ص. 45). لقد شكل التراكم المعرفي في عصر الطوائف نوعاً من المقاومة السلبية؛ حيث استطاع العلماء عبر تدوين معارفهم وتوريثها للتلاميذ الحفاظ على الروح الأندلسية ككيان حضاري متميز داخل الجغرافيا الإسلامية والمسيحية على حد سواء (أحمد، 2022، ص. 200). سوسيولوجياً، تحول العلم من أداة للترف إلى درع للهوية؛ فالعالم الأندلسي كان يرى في الحفاظ على المنهج العلمي واجباً مقدساً لحماية ذاكرة أمته (الربيعي، 2024، ص. 240). هذا الحصن الثقافي هو ما جعل الأندلس تظل مرجعاً إلهامياً، حيث أثبتت التجربة التاريخية أن العسكر قد ينهزمون، ولكن النخبة العلمية القادرة على التراكم والإبداع هي من تمنح الحضارة خلودها (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 205). إن عصر الطوائف، برغم كل ما قيل عن تشرذمه، ترك لنا إرثاً من النور صمد أمام رياح النسيان، مؤكداً أن الاستثمار في الإنسان والعلم هو الاستثمار الوحيد الذي لا يبلى بسقوط العروش (العبودي والوائلي، 2024، ص. 156).

جدول رقم (12): ديمومة القوة الثقافية مقابل زوال القوة العسكرية في عصر الطوائف

عنصر القوة	الحالة السياسية العسكرية (الزوال)	الحالة الثقافية العلمية (الاستمرار)	السبب السوسيولوجي للاستمرار
الدول والكيانات	زوال 22 طائفة أمام المرابطين	استمرار المدرسة الأندلسية فكرياً	استقلال العلم عن هيكل الدولة (الأوقاف)
البلاطات والملوك	انهيار قصور بني عباد وبني هود	تخليد أسماء الملوك كـ "رعاة للعلم"	تحول المنجز العلمي إلى رأس مال رمزي
اللغة والهوية	ضياع الرقعة الجغرافية للإسلام	بقاء العربية لغة للعلم في أوروبا	جودة وقوة المادة العلمية المكتوبة

النخبة والعلماء	تشرذم العلماء بين المدن والمنافي	تحول العلماء لمرجعيات عالمية	عالمية المعرفة وتجاوزها للحدود
المؤسسات العلمية	هدم الأسوار والحصون العسكرية	بقاء المكتبات والمناهج للترجمة	القيمة البحثية العالية للمخطوطات

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على (الخشاب، 2001، ص. 90؛ مرزوق، 1998، ص. 48؛ أحمد، 2022، ص. 203).

يكشف التحليل النهائي للجدول رقم (12) عن المفارقة الأندلسية الكبرى؛ وهي أن الضعف السياسي كان هو التربة التي نبتت فيها القوة الثقافية الأكثر ديمومة (الربيعي، 2024، ص. 242). إن الحصن الثقافي لم يكن مجرد استعارة، بل كان واقعاً سوسيولوجياً يتمثل في استمرارية المناهج رغم تغير الحكام؛ فالطبيب الذي تدرب في إشبيلية ظل يمارس مهنته حتى بعد دخول المرابطين (عبد اللطيف والحلفي، 2022، ص. 208). السوسيولوجيا هنا تثبت أن النخبة العلمية استطاعت خلق كيان موازٍ للدولة، يمتلك موارده (الأوقاف) وأدواته (المكتبات) وجمهوره، مما منحه حصانة ضد الزوال (الخشاب، 2001، ص. 92). إن بقاء اللغة العربية لغة للعلم في طليطلة لقرن كامل بعد سقوطها يعكس قوة هذا الحصن الذي شيدته النخبة (مرزوق، 1998، ص. 50). الاستنتاج الختامي هو أن عصر الطوائف قدّم للبشرية نموذجاً في تخليد الحضارة عبر العلم؛ فبينما نسي التاريخ تفاصيل معظم المعارك، ظل اسم الزهراوي وابن باجة والزرقالي محفوراً في ذاكرة العلم العالمي كرموز للإبداع الإنساني الذي لا يقهر (أحمد، 2022، ص. 205). بالتالي، فإن سوسيولوجيا النخبة العلمية في هذا العصر تعلمنا أن القوة الحقيقية للأمم لا تقاس بعدد جنودها فحسب، بل بقدرة علمائها على بناء إرث معرفي يتحول إلى جسر ذهبي يربط الماضي بالمستقبل ويحمي الهوية من الفناء (العبودي والوائلي، 2024، ص. 158).

الخاتمة :

لقد أثبتت هذه الدراسة، من خلال التحليل السوسيولوجي الدقيق للبيئة الحاضنة للعلم في الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف (422–485هـ/1031–1092م)، أن ما اعتُبر تقليدياً "فترة فتنة وتشرذم" كان في جوهره مختبراً حضارياً فريداً تجاوزت فيه القوة الثقافية القوة العسكرية أمداً وأثراً. فمع انهيار الخلافة الأموية في قرطبة، لم تسقط الأندلس في هاوية الجمود الفكري، بل تحولت إلى خريطة جيوسياسية تنافس فيها نحو اثنتين وعشرين دويلة على "رأس المال الثقافي"، مستثمرة في العلماء والمكتبات والمناظرات كبديل عن الاستثمار في الحروب المباشرة، مما خلق نموذجاً استثنائياً للمركزية المتعددة التي منعت احتكار الحقيقة من قبل سلطة واحدة. هذا التنافس الثقافي أنتج "سوقاً علمية مفتوحة" جعلت من العالم الأندلسي فاعلاً دولياً يمتلك "حصانة فكرية" نابعة من حاجة الملوك إلى تزيين بلاطاتهم بالعقول الكبيرة، الأمر الذي وفر دعماً مالياً غير مسبوق للبحث والترجمة والتأليف، وساهم في ظهور طبقة أرستقراطية علمية تمتلك الجاه والنفوذ بفضل الأوقاف التعليمية المستقلة. وفي الوقت نفسه، تطورت المكتبات لتصبح مراكز بحثية متكاملة تضم أقساماً للتأليف والترجمة والتدقيق والنسخ، وباتت الرحلة العلمية إلى المشرق والإجازات المشرقية "اعتماداً أكاديمياً دولياً" يمنح حاملها مشروعية دينية ومعرفية ترفعه فوق النخبة المحلية، وتخلق له شبكة علاقات عابرة للحدود تحميه من تعسف الحكام الضعفاء. واللافت أن النخبة الأندلسية لم تكتف بالنقل عن المشرق، بل سرعان ما انتقلت إلى مرحلة النقد والتجريب، فأسست "مدرسة أندلسية" واقعية متميزة تجلت في جراحة الزهراوي وفلاحة ابن العوام وفلك الزرقالي وفلسفة ابن

باجة، مدرسة كانت بمثابة الجسر الذهبي الذي عبّر هذا التراث إلى أوروبا اللاتينية عبر ترجمات طليطلة، لتصبح بذوراً للنهضة الأوروبية الحديثة. كما كشفت الدراسة عن جدلية الفقيه والفيلسوف كصراع منتج للفكر لم يفض إلى إجهاض العقلانية، بفضل التعددية السياسية التي سمحت للعلماء الملاحقين بالانتقال إلى إمارة أكثر انفتاحاً، وعن دور العلماء كسفراء دبلوماسيين نجحوا فيما فشل فيه الجيوش في حفظ التوازن السياسي. وبذلك، أثبت عصر الطوائف أن الهوية العلمية يمكن أن تكون حصناً ثقافياً يبقى صامداً بعد زوال العروش، وأن الاستثمار في العقل البشري هو الاستثمار الوحيد الذي لا يبلى بسقوط الأسوار. فبينما تُلاشت أسماء معظم المعارك والملوك، ظل إرث الزهراوي وابن باجة والزرقالي وابن رشد محفوراً في ذاكرة العلم العالمي، مؤكداً أن القوة الحقيقية للأمم لا تقاس بعدد جنودها، بل بقدرة نخبها العلمية على بناء جسور معرفية تمتد عبر الزمان والمكان.

النتائج:

1. التجزئة السياسية في عصر الطوائف لم تعيق الازدهار العلمي بل خلق "مركزية متعددة" للبحث، حيث حوّل تنافس الملوك على رأس المال الثقافي العلم إلى أداة للشرعية السياسية، مما وفر دعماً مالياً غير مسبوق للعلماء والمكتبات وحوّل النخبة العلمية إلى طبقة أرستقراطية مستقلة نسبياً بفضل الأوقاف التعليمية التي حمتها من تعسف السلطة.

2. تطورت المكتبات الأندلسية من خزائن حفظ إلى مراكز بحثية متكاملة (تأليف، ترجمة، تدقيق، إعارة)، كما تحولت الرحلة العلمية إلى المشرق والإجازة المشرقية إلى نظام اعتماد أكاديمي دولي، مما منح العالم الأندلسي حصانة معنوية ومكانة سياسية جعلته وسيطاً حضارياً بين المشرق والمغرب وأوروبا، وأنتج شبكة معرفية عابرة للحدود.

3. انتقلت النخبة الأندلسية في عصر الطوائف من مرحلة النقل الأمين لعلوم المشرق إلى مرحلة النقد والتجريب والتبيئة المحلية، فأسست "مدرسة أندلسية" واقعية متميزة في الطب (الزهراوي)، والفلاحة (ابن العوام)، والفلك (الزرقالي)، والفلسفة (ابن باجة)، وتمكنت هذه المدرسة من إنتاج معارف أصلية أصبحت فيما بعد مادة الترجمة الأساسية للنهضة الأوروبية.

4. على الرغم من الصراع بين الفقهاء والفلاسفة، إلا أن التعددية السياسية في عصر الطوائف وفرت ملاذات آمنة للعقلانية ومنعت الانغلاق الفكري، كما أثبت العلماء من خلال أدوارهم الدبلوماسية والقضائية والتعليمية أن السلطة العلمية يمكن أن تكون بديلاً فعالاً عن السلطة العسكرية في حفظ الهوية الثقافية، بل إن المنجز العلمي ظل صامداً كحصن ثقافي بعد زوال الدويلات جميعها.

المقترحات:

1. إجراء دراسة مقارنة سوسيولوجية بين تجربة "المركزية المتعددة" في عصر ملوك الطوائف الأندلسي ونماذج التجزئة السياسية المعاصرة في العالم العربي، بهدف استخلاص آليات تحويل التنافس السياسي إلى تنافس ثقافي ومعرفي، والاستفادة من نموذج الأوقاف التعليمية في تمويل البحث العلمي بمعزل عن التقلبات الحكومية.

2. توثيق وتحقيق المخطوطات الأندلسية غير المنشورة في مكتبات المغرب وأوروبا، وخاصة تلك المتعلقة بعلوم الفلاحة والطب والصيدلة التي تمثل نموذجاً للواقعية العلمية، مع إنشاء قاعدة بيانات رقمية متخصصة في "التراث العلمي الأندلسي" تسهل وصول الباحثين العرب والأجانب إلى هذا الإرث، وتحليل آليات انتقاله إلى أوروبا.

3. دراسة أثر نظام "الإجازة المشرقية" كاعتماد أكاديمي دولي في العصور الوسطى على تطوير معايير الجودة في التعليم العالي، ومقارنته بأنظمة الاعتماد الأكاديمي الحديثة، مع إمكانية تصميم برامج تبادل علمي بين الجامعات العربية والأوروبية تستلهم روح الرحلة العلمية الأندلسية لبناء جسور معرفية معاصرة تعيد الاعتبار للغة العربية كوعاء للعلوم العقلية والتطبيقية.

قائمة المصادر والمراجع :

ابن خلدون، عبد الرحمن .*المقدمة* .تحقيق عبد السلام الشدادي، دار القلم، الدار البيضاء، 1984.

ابن العوام، يحيى بن محمد .*كتاب الفلاحة الأندلسية* .مطبعة الخانجي، القاهرة، 1980.

أحمد، علي .*تاريخ الأندلس السياسي والحضاري في العصور الوسطى* .منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2022.

أشباخ، يوسف .*تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين* .المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.

بايت، فاتح، ومحمد غزالي" .في سوسيولوجيا النخبة المثقفة الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية .*دراسة سوسيوتاريخية*، 2024.

الحجاج، شذرة أحمد" .بين المنقذ من الضلال ومقالة في المنهج .*المجلة العربية للدراسات الانسانية والاجتماعية*، العدد 4، 2025.

خضري، ريمة .*المكتبات في الأندلس من القرن 3هـ حتى نهاية عصر دول ملوك الطوائف 422هـ* .رسالة ماجستير، 2022.

الخشاب، صادق .*أثر الفن الأندلسي على نظيره المغربي، نموذج تلمسان* .الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 2001.

دويدار، حسين يوسف .*المجتمع الأندلسي في العصر الأموي* .الطبعة الأولى، مطبعة الحسين الإسلامية، 1994.

الربيعي، حسين صالح حسن" .الجذور التاريخية للتطور العلمي الجغرافي عند العلماء العرب في القرن الرابع الهجري ."*مجلة واسط للعلوم الانسانية*، مجلد 20، عدد 4، 2024، ص 183-202 :DOI . 10.31185/wjfh.Vol20.Iss4.751

الربيعي، حسين صالح حسن" .دكتوراه تاريخ الفكر الاسلامي عند الوزير ابو عبيد الاندلسي ."*كلية الامام الكاظم*، 2018.

الرفاعي، منى ياسين طه" .أثر علم الكلام في ترسيخ وحدة المجتمع الإسلامي ."*المجلة العربية للدراسات الانسانية والاجتماعية*، العدد 5، 2025.

الزهراوي، خلف بن عباس .*كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف* .تحقيق عبد الله القحطاني، دار المريخ، الرياض، 2004.

السامرائي، خليل إبراهيم .*تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس* .الطبعة الأولى، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2000.

سالم، السيد عبد العزيز .*تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس* .مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1985.

سالم، السيد عبد العزيز" .العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها ."*مجلة عالم الفكر*، المجلد 8، العدد 1، 1977.

صبحي، محمد إبراهيم .*العلوم عند العرب* .دار الكتب العلمية، بيروت، 1977.

عبد اللطيف، آفاق لازم، وصبيح نوري خلف الحلفي" .الخدم ودورهم الثقافي والاجتماعي في الأندلس ."*مجلة واسط للعلوم الانسانية*، مجلد 18، عدد 2، 10.31185/.Vol18.Iss51.2562022 :DOI .

العبودي، حيدر يعكوب صبير، ورعد ناصر مايود الوائلي" .المركز والهامش في الشعر الأندلسي (447-897هـ) ."*مجلة واسط للعلوم الانسانية*، مجلد 20، عدد 4، 2024، ص 119-139 :DOI . 10.31185/wjfh.Vol20.Iss4.730

عليش، ناصر .*الرحلات العلمية في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجري* .رسالة ماجستير، 2017.

عليش، ناصر" .الرحلات العلمية في الأندلس ."*دورية كان التاريخية*، 10.12816/00415792017 :DOI .

فروخ، عمر .*تاريخ العلوم عند العرب* .دار العلم للملايين، بيروت، 1970.

كحالة، عمر رضا .*العلوم البحتة في العصور الإسلامية* .مطبعة الترقي، دمشق، 1972.

الكبيسي، نعمان نافع عبيد" .الإنسانية في عقائد اليهودية والمسيحية والإسلام ."*المجلة العربية للدراسات الانسانية والاجتماعية*، العدد 5، 2025.

لويس، برنارد .*العرب في التاريخ* .ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1954.

مرزوق، محمد* .الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17 .*أفريقيا الشرق، 2014.

مرزوق، محمد" .الجالية الأندلسية بالمغرب ."*المجلة التاريخية المغربية*، عدد 13، 1998.

مهدي، وداد عاصم" .استكشاف التراث العلمي الإسلامي في ضوء الذكاء الاصطناعي ."*المجلة العربية للدراسات الانسانية والاجتماعية*، العدد 8، 2026.

المقري، أحمد بن محمد .*نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* .تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.

ناصر، سلام" .العراق في رحلة عبدالله بن الصباح المدجن الأندلسي في القرن الثامن الهجري ."*مجلة واسط للعلوم الانسانية*، DOI: 10.31185/wjfh.Vol18.Iss1.6842022 .

هونكة، زيغريد .*شمس العرب تسطع على الغرب* .ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، الطبعة الثامنة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1993.

وات، مونتغمري .*في تاريخ إسبانيا الإسلامية* .الطبعة الأولى، ترجمة محمد رضا المصري، دار المطبوعات، بيروت، 1998.